المقاربة النظرية سياق بحثي في العلوم الاجتماعية والتربوية لابد منه.

The theoretical approach is a necessary research context in the social and educational sciences

عشور مكاوي.
باحث في علم الاجتماع التربية؛ فرقة بحث *PRFU*: مخبر دراسة وتحليل المشكلات الاجتماعية في الجزائر؛ جامعة محمد البشير الإبراهيمي؛ برج بوعريريج (الجزائر).
البريد الإلكتروني: *achour.mekKaoui@univ-bba.dz*

تاريخ الإرسال: 2021/05/28؛ تاريخ القبول:2022/11/19؛ تاريخ النشر:2022/12/15.

الملخص:

تهدف ورقتنا البحثية في الكشف عن الأطر المعرفية التنظيرية وآليات الممارسة التطبيقية للمقاربة النظرية ضمن إطار العلوم الاجتماعية والتربوية، حيث تم معالجة الموضوع من خلال الدلالة المفاهيمية وشروط تبني المقاربة النظرية، إضافة إلى مسألة التعدد وارتباطها بالتخصص الأكاديمي ومستويات التحليل السوسيولوجي.

كما تم تبيان المقاربة النظرية في خضم عناصر البحث الأكاديمي انطلاقا من بنية الموضوع، وما يتضمنه من متغيرات مع المقدمة محل الدراسة وصولا إلى النتائج الختامية.

الكلمات المفتاحية: المقاربة؛ النظرية؛ البحث؛ العلوم الاجتماعية؛ التربية.

Abstract:

Our research paper aims to reveal the theoretical cognitive frameworks and the mechanisms of applied practice of the theoretical approach within the framework of the social and educational sciences. The topic was addressed through the conceptual significance and the conditions for adopting the theoretical approach in addition to the issue of pluralism and its connection to academic specialization and levels of sociological analysis.

The theoretical approach was also shown in the midst of the elements of academic research, based on the structure of the subject, and the variables it contains, with the introduction under study, leading to the final results.

Key words: approach; theory; research; social sciences; education.

مقدمة:

عند الحديث عن النظرية العلمية، فإننا نبحث في مجمل القضايا، الافتراضات والمفاهيم المنطوية ضمنها قصد الاستفادة منها في معالجة الظواهر التي نريد دراستها ضمن أطر بحثية تستلزم قدرة الباحث المعرفية وكفاءته المهارية، حيث يمثل السياق البحثي في العلوم الاجتماعية والتربوية منظومة معرفية ذات تسلسل منطقي مبني على أسس، وقواعد منهجية تحاكي ممارسات إمبريقية ضمن نسق وجودية الظاهرة محل الدراسة، فمن أهم العناصر البحثية الملزم وجودها في إنجاز مختلف البحوث، والدراسات خصوصا ذات الطابع الميداني عنصر المقاربة النظرية، حيث يقول ج. ميشال برتيلو(*J. Michel Perthelot*) :"في الواقع هناك عنصر، ...، يجب أخذه بعين الاعتبار وهو ما يسمى حسب المؤلفين مقاربة..."(بولعراس، سبتمبر 2018: ص. 30) التي تعبر عن نظرية علمية متبناة تمكن الباحث من فهم الظاهرة المدروسة ومحاولة تفسير

النتائج المسفر عنها، حيث يرجع تبني المقاربة النظرية ضمن سياق البحوث العلمية، والأكاديمية إلى سبب جوهري يستند إلى محاولة تفسير مختلف الظواهر السوسيو-تربوية محل الدراسة من خلال الكشف عن الدلالات الارتباطية بين العوامل المكونة للظواهر المعنية مع تبيان العلاقات، والتأثيرات المتبادلة بين مختلف الأبعاد، المؤشرات والوحدات القياسية المتواجدة باعتبار المقاربة النظرية نموذج تفسيري واقعي يدعم النتائج المتوصل إليها من طرف الباحث، حيث تشير كيرت لوين (*Kurt Lewin*) بأن النظرية دون ممارسة عقيمة، والممارسة دون نظرية عمياء (Bhattacherjee, 2012: p. 14)، فاستنادا لذلك المقاربة النظرية تقدم لنا صورة أوضح لبنية الظواهر من حيث الوجود وأطر الممارسة التي تبلور لنا مساقية الفهم بشكل أعمق، فمن خلال ما تم التقدم به نطرح التساؤلات الآتية:

- فيما تتمثل مفاهيمية المقاربة النظرية وشروطها؟
- هل تحاكي المقاربة النظرية مدخل التفرد أم التعدد أو كلاهما؟
- مدى ارتباط المقاربة النظرية بالتخصص الأكاديمي ومستويات التحليل السوسيولوجي؟
- فيما تتجسد تطبيقات المقاربة النظرية على مستوى العناصر البحثية؟

فمن خلال التساؤلات المطروحة أعلاه تهدف ورقتنا البحثية في محاولة الإجابة عنها ضمن مساقات معرفية تنظيرية، وتطبيقات ميدانية تحاكي العناصر البحثية المتعارف عليها في إنجاز مختلف البحوث

والدراسات العلمية، والأكاديمية خصوصا في مجال العلوم الاجتماعية والتربوية.

1. المقاربة النظرية وتمشكل المفهوم:

بداية تعبر المقاربة النظرية عن مفهوم مركب يحوي كل من:

1.1. المقاربة - *Approch* التي تشير في مدلول مجمع اللغة العربية إلى الدنو والاقتراب (بولعراس، سبتمبر 2018: ص. 30)، ومنه هي "مسلك محدّد معرفيا يُكوّن منطلقا فلسفيا ونظريا ومنهجيا للبحث" (يونس علي: 2021، ص. 23).

2.1. النظرية - *theory*، حيث يشير مفهوم النظرية العلمية من الناحية الاصطلاحية إلى جملة القضايا والافتراضات المترابطة فيما بينها التي تحاكي سبب الظاهرة من حيث الوجود أو العدم (Brenner, 2020,p.17).

ومنه فإن المقاربة النظرية تشير إلى تبني نظرية علمية يمكن من خلالها إعطاء تصور فهمي تفسيري للظاهرة محل الدراسة عن طريق تبني مختلف المفاهيم، والقضايا المنبثقة عن تلك النظرية قصد تحليل مجمل الارتباطات المتواجدة في الدراسة المعنية.

أما في ظل تمشكل المفهوم نحاول الإشارة إلى بعض المفاهيم التداخلية الموظفة من طرف الباحثين عن أنها تعبر عن مضمون المقاربة النظرية مثل "التأصيل النظري -أدبيات الدراسة- النظريات المفسرة - المدخل النظري- نموذج البحث"، ومنه أن لكل مفهوم وظيفة بحثية أنتولوجية، إبستمولوجية وميتودلوجية، حيث يشير مفهوم كل من التأصيل النظري وأدبيات الدراسة إلى مجمل المعارف العلمية حول موضوع ما أو ظاهرة معينة، وفيما يتعلق بالنظريات المفسرة تحاكي مجموعة النظريات العلمية التي تطرقت للموضوع محل الدراسة أو

يمكن من خلالها تفسيره؛ بينما المدخل النظري يمثل زاوية المعالجة التي تؤطر الموضوع محل الدراسة وهي أربعة مداخل ثبوتية تتمثل في:

- المدخل الديني.
- المدخل الوضعي.
- المدخل الصراعي.
- المدخل التأويلي.

في حين نموذج البحث - *paradigm* هو طريقة معينة لمشاهدة العالم، والمجموعة الأفكار التي تمكننا من فهم، وتفسير واقع أو ظاهرة ما (Sheppard, 2020: p. 20)؛ حيث توجد عدة تصنيفات للنماذج البحثية نذكر منها التصنيف الآتي:

- النموذج البحثي المحافظ، ويشمل "النموذج الوظيفي-النموذج التفسيري."
- النموذج البحثي الراديكالي، ويتضمن "النموذج الإنساني - النموذج البنائي" (Burrell and Morgan, 2019: p. 22).

ومنه يمكن القول بأن التصنيفات المعتمدة في تبيان النماذج بحثية يرجع لأطر وأسس واقعية، منهجية ومعرفية على سبيل المثال يصنفها سميث -*Smith* إلى أربعة أقسام وهي:

- التجريبية والتي يشار إليها بالوضعية رغم أن لكلا المفهومين أطره المعرفية الخاصة.
- ما بعد التجريبية التي تحاكي ما بعد الوضعية.
- النقدية؛ كما يطلق عليها بالنموذج التحويلي أو التغييري.

- التأويلية؛ في حين غيبا ولينكولن - *Guba & Lincoln* عبر عنها بالبنائية؛ بينما مرتنز -*Mertens* ألغى الوضعية وأضاف النموذج البراغماتي (تيغزة، 2020: ص. 5).

كما تجدر الإشارة إلى أن النماذج البحثية المذكورة أعلاه تتفرع عنها نماذج فرعية تتمثل في:

- نموذج التحليل الذي يشير إلى عناصر، وقواعد التحليل الموضوعي للارتباطات المتواجدة.
- نموذج التفسير يحاكي شرح التحليلات المنوطة بالارتباطات المعنية محل الدراسة.
- نموذج القياس يتمثل في تبيان درجة مصداقية التحليلات وتوافقها مع واقعية الظاهرة ضمن سياقها الميداني.

فمن خلال النماذج الفرعية المذكورة نشير بأنها تتوافق فيما بينها ضمن نموذج بحثي رئيسي متبنى من طرف الباحث في معالجة الظاهرة محل الدراسة، فضمن الاختلافات المبينة بين جملة المفاهيم المذكورة سالفا نحاول توضيحها بمثال موضوعاتي عن طريق المخطط أدناه:

الشكل (01): مخطط *Smart Art* من نوع معالجة تنازلية من موضوع الدراسة إلى المقاربة النظرية.

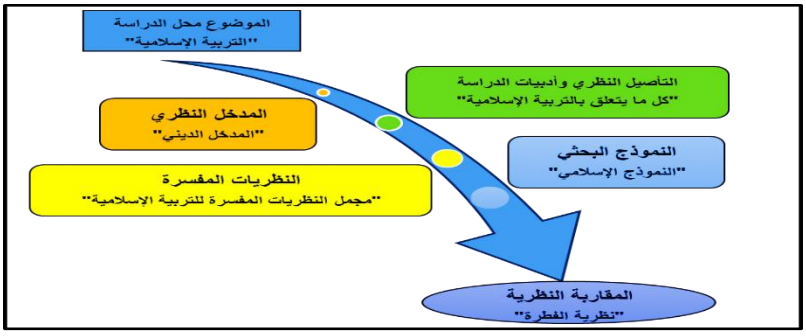

المصدر: من إعداد الباحث.

نلاحظ من خلال المخطط أعلاه تباين المفاهيم فيما بينها، وأن لكل مفهوم وظيفة بحثية معينة، فانطلاقا من موضوع البحث قد يتحدد المدخل النظري المرتبط به، وهذا يرجع لكفاءة الباحث المعرفية وسعة اطلاعه؛ بينما إذا كان الباحث ليس له معرفة كافية يستلزم منه الاطلاع على مجمل ما كتب في موضوعه ضمن سياق التأصيل النظري وأدبيات الدراسة، وعلى أساسها يتحدد المدخل النظري والنموذج البحثي ليضبط في الأخير مقاربته النظرية التي يجب أن تكون متوافقة مع كل من مدخله النظري، ونموذجه البحثي باعتبار أن المدخل النظري ينطوي تحته مجموعة من النماذج البحثية، وهذه الأخيرة تحوي جملة النظريات المفسرة التي تتيح للباحث حرية اختيار المقاربة النظرية المتبناة بما يتوافق، وخصوصية البحث وأهدافه التي تحاكي بنية، وتوجه الفرضيات المصاغة من طرف الباحث، وبالرجوع للمثال المتواجد بالمخطط أعلاه باعتبار أن موضوع الباحث حول التربية الإسلامية، حيث يتحدد من خلال العنوان المدخل النظري (المدخل الديني)، والنموذج البحثي (النموذج الإسلامي) لضبط مجال اطلاعه النظري الذي يحاكي التأصيل النظري وأدبيات الدراسة، إضافة إلى النظريات المفسرة ضمن مجال التربية الإسلامية ثم يحدد المقاربة النظرية.

أما إذا كان موضوع الباحث التربية الاجتماعية بشكل عام وأراد الباحث أن يحتكم في دراسته لمرجعية المجتمع المتواجد فيه ضمن أطر دينية بمعنى تبني المدخل الديني الذي يحوي نماذج بحثية عدة منها:

- النموذج الإسلامي.
- النموذج المسيحي.
- النموذج اليهودي.

- النموذج الوثني ...

فاستنادا لمرجعية المجتمع محل الدراسة يحدد الباحث النموذج المناسب على سبيل المثال النموذج الإسلامي ضمن سياق المجتمعات الإسلامية، ثم يوسع مجال اطلاعه النظري حول التربية الإسلامية، وما يتعلق بها من نظريات مفسرة ليحدد في الأخير مقاربته النظرية، حيث يستلزم أن تتماشى مع خصوصيات المجتمع محل الدراسة.

2. شروط تبني المقاربة النظرية:

من أجل تبني المقاربة النظرية ينبغي تحقيق جملة الشروط المذكورة أدناه:

- كفاءة الباحث وقدرته في اختيار المقاربة النظرية الأنسب لمعالجة الظاهرة محل الدراسة.
- توافق المقاربة النظرية المتبناة مع الظاهرة محل الدراسة.
- توفر المادة المعرفية العلمية اللازمة حول المقاربة النظرية المتبناة، وفيما يتعلق بالتأصيل النظري للظاهرة المدروسة.
- تماشي المقاربة النظرية مع تشكيلة البناء الاجتماعي والتربوي للظاهرة المدروسة ضمن نسق المرجعية المتبناة.
- مدى استطاعة المقاربة النظرية المتبناة في الدمج بين الأطر التنظيرية، ونسقية الفعل الممارساتية المنوطة بالظاهرة محل الدراسة.
- قدرة المقاربة النظرية على تفسير مختلف الارتباطات المتواجدة بالظاهرة المدروسة.
- تمكن المقاربة النظرية المتبناة من اختزال فحوى الظاهرة محل الدراسة.

- قدرة المقاربة النظرية على بناء تصور فهمي للظاهرة المدروسة من حيث بنية الوجود وتمظهرات التواجد.

فاستنادا للشروط المذكورة أعلاه يشترط في النظرية المراد تبنيها ضمن سياق المقاربة أن تكون قد عالجت متغيرات الموضوع المعني بالدراسة من طرف الباحث في كلياته أو جزئياته؛ بينما في حالة عدم وجود نظرية تطرقت للمتغيرات المدروسة وجب بناء نموذج تفسيري للظاهرة المعنية من خلال توظيف مفاهيم النظرية المراد تبنيها والأخذ بمنطلقاتها التفسيرية للمختلف الظواهر المشابهة من حيث عوامل الوجود ومؤشرات التواجد، إضافة إلى مراعاة خصوصية المجتمع ضمن أطر المرجعية الدينية والثقافية، فالنظرية المبنية والمطورة في مجتمع ما قد تكون متأثرة بالخصوصيات الثقافية لذاك المجتمع (التير، 2020: ص. 262)، ثم أن الظاهرة الاجتماعية والتربوية متمايزة من حيث العوامل، والمؤشرات من مجتمع لآخر.

3. المقاربة النظرية بين التفرد والتعدد:

ضمن هذا العنصر نحاول معالجة مسألة التفرد والتعدد المنوطة بالمقاربة النظرية ضمن سياق أحادي أو ثنائي أو تعددي تشعبي، حيث لكل من هذه المسائل الثلاث خصوصية معينة ومنه:

1.3. المقاربة النظرية ضمن أطر التفرد، والتي تنص على تبني مقاربة نظرية أحادية بمعنى توظيف نظرية علمية واحدة فقط في الظاهرة محل الدراسة، حيث ظهر هذا الطرح مع بديات العلوم الاجتماعية المرتكزة على النظريات الكبرى في علم الاجتماع مع إميل دوركهايم وكارل ماركس، وبعد أزمة علم الاجتماع أصبح كتوجه مدعم مع ظهور

المنهجية الفردانية من بين روادها ريمون بودون *Raymond Boudon* (بوخريسه، 2017: ص. 33 - 34).

2.3. المقاربة النظرية ضمن سياق ثنائي الذي يحث على تبني نظرية مساعدة بحيث يكون منطلق التفسير للظاهرة محل الدراسة استنادا لنظريتين بحسب خصوصية الموضوع، حيث ظهر هذا التوجه خصوصا بعد ارتباط المواضيع الكبر بالقضايا الصغرى في المجتمع الذي سنحاول معالجته ضمن عنصر وحدات التحليل السوسيولوجي، وتجدر الإشارة إلى أن السياق الثاني بدأ بشكل واضح عند ظهور ما يسمى بعلم اجتماع الفعل أي ظهور توجه الفعلوية الذي نادى به ألان تورين *Alain Touraine* وفريقه ضمن دراسة الحركات الاجتماعية، والتغير الاجتماعي التي ترتكز على سبع مفاهيم جوهرية تتمثل في "التاريخانية ونسق الفعل التاريخي -علاقات الطبقات والنسق المؤسساتي - النظام الاجتماعي والحركات الاجتماعية - الذات أو الهوية"(بوخريسه، 2017، ص. 36 - 37).

3.3. المقاربة النظرية في خضم مسألة التعدد، والتي تتيح للباحث في معالجة موضوعه توظيف ثلاث نظريات فما فوق ضمن مجال العلوم الاجتماعية فقط دون الخروج عن مجال الاختصاص، حيث ظهر توجه بعد ظهور اتجاه المنهجية التعددية التكاملية، ونسق المقاربات المتعددة فمن بين الذين اعتمدوا هذا التوجه لويس ألتوسير *Louis Althusser* (Burrell and Morgan, 2019: p. 22).

4.3. المقاربة النظرية في خضم مسألة التشعب الذي يسمح للباحث بأن يوظف نظريات خارج مجال اختصاصه بحسب ما تستدعيه خصوصية بحثه ضمن سياق المعالجة باعتبار أن الظاهرة الاجتماعية والتربوية تختلف من حيث العوامل تستلزم جوانب اجتماعية تربوية وثقافية، دينية

ونفسية بيولوجية، لكن يشترط توظيفها بما يتوافق وخصوصية الاختصاص، حيث ظهر هذا التصور نتيجة التوجه الذي يشيد بتكامل العلوم فيما بينها، وأن تلك الخطوط الموضوعة بين العلوم هي خطوط وهمية، ثم أن الغاية من هذه العلوم هو فهم الإنسان وما يحيط به من متغيرات، وبالتالي الإنسان يمثل الهدف المشترك لكل العلوم الذي يستلزم التعاون فيما بينها قصد حل مختلف الإشكالات التي تواجهه، وتبيان الغموض المحيط به.

فمن خلال المساقات التحليلية المقدمة حول المقاربة النظرية بين التفرد والتعدد نجد أن تبني مقاربة واحدة في معالجة موضوع معين يحيلنا إلى تحليل أحادي الجانب الذي ينتج عنه قصور فهمي للظاهرة المدروسة باعتبار أن الظاهر في العلوم الاجتماعية والتربوية متعددة العوامل ذات تشابك وترابط دلالي يعكس تمظهرات واقعية تحاكي نسق الفعل الاجتماعي الممارس بالرغم من أن اتجاه التفرد كان سائدا في بديات علم الاجتماع باعتبار تبني الباحث لأكثر من نظرية يعدّ خطأ منهجيا (قاسيمي، 2017: ص. 127)؛ لكن بعد أزمة علم الاجتماع وبروز النظريات التأويلية كان لازما تبني أكثر من مقاربة نظرية قصد الفهم العميق للظواهر المعنية بالدراسة التي تحتكم لمؤشرات جديدة لم تكن موجودة سابقا ضمن أطر الممارسة الاجتماعية، وتجدر الإشارة عند تبني الاتجاه التعددي والتشعبي المنوط بالمقاربة النظرية يستلزم أن تكون في اتجاه تحليلي واحد غير متناقضة من حيث المفاهيم والافتراضات فيما بينها، إضافة إلى وجوب بلورة المفاهيم المرتبطة بالنظرية المتبناة بما يتماشى وأطر التخصص المفاهيمية والتحليلية الذي سيتم التطرق إليه ضمن العنصر اللاحق.

4. المقاربة النظرية والتخصص الأكاديمي:

يتم معالجة فحوى هذا العنصر الذي يستند إلى تبيان دلالات الارتباط بين المقاربة النظرية والتخصص الأكاديمي ضمن مجال العلوم الاجتماعية والتربوية عن طريق مبدأين مركزيين هما:

1.4. مبدأ الأصلانية المستند في إرجاع الأمور إلى أصلها، فضمن سياق المقاربة النظرية المتبناة يستلزم أن تكون ضمن مجال العلوم الاجتماعية والتربوية بمعنى تحاكي ارتباطها بالتخصص الأكاديمي ثم أن الظواهر المعنية بالدراسة ذات ارتباط بالتخصص الأكاديمي نفسه على سبيل المثال باحث في مجال علم الاجتماع التربية يدرس ظواهر اجتماعية ذات أبعاد تربوية، فعند تبنيه للمقاربة النظرية يستلزم أن تكون ضمن مجال علم الاجتماع التربية فقط، ولعل هذا الطرح يبدوا في ظاهره صحيحا إلا أنه يحول دون الفهم الأعمق للظواهر محل الدراسة، تبريرنا في ذلك يرجع إلى القضايا التربوية على سبيل المثال ليست بمعزل عن مختلف النظم المجتمعية كالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي حيث تمظهر هذا المبدأ من خلال المنطلقات الأولى لعلم الاجتماع؛ كما أشرنا في العنصر السابق المنوط بالمقاربة النظرية بين التفرد والتعدد، ثم بعد أزمة علم الاجتماع التي ارتبطت بعجز النظريات الكبرى في إعطاء تفسيرات وتحليلات منطقية لظواهر جديدة استدعى الأمر ظهور توجه نقدي لتلك النظريات الذي تولد عن أعقابه ما يسمى بالنظريات التأويلية التي قدمت تصورا فهميا جديدا نتج عنه تراجع المبدأ الأصلاني وبروز المبدأ الصياغي.

2.4. مبدأ الصياغية، الذي يشيد بإمكانية تبني مقاربة نظرية خارج التخصص الأكاديمي؛ لكن يشترط أن يتم إعادة صياغة مفاهيم

النظرية وافتراضاتها بما يتوافق والتخصص الأكاديمي دون المساس بجوهرية الأفكار الضمنية التي تعبر عن المحك الأساسي لبنية النظرية ووجودها، فعلى سبيل المثال قام الباحث بدراسة طبيعة التفاعلات الاجتماعية للتلاميذ داخل الحجرة الصفية، وأراد تبني أكثر من نظرية علمية ضمن سياق المقاربات النظرية المتبناة، حيث اختار النظرية التفاعلية الرمزية وأحد النظريات السلوكية ذات المعطى السيكولوجي باعتبار أن التفاعل الاجتماعي يستند إلى مرجعية نفسية مرتبطة بوجدانية كل من الفاعل والمتفاعل اللذان يعكسان تمظهر اجتماعي يحاكي فعل التفاعل، ومنه:

الشكل (02): مخطط تجسيدي يوضح عملية التفاعل الاجتماعي في خضم مقاربة سوسيو سيكولوجية.

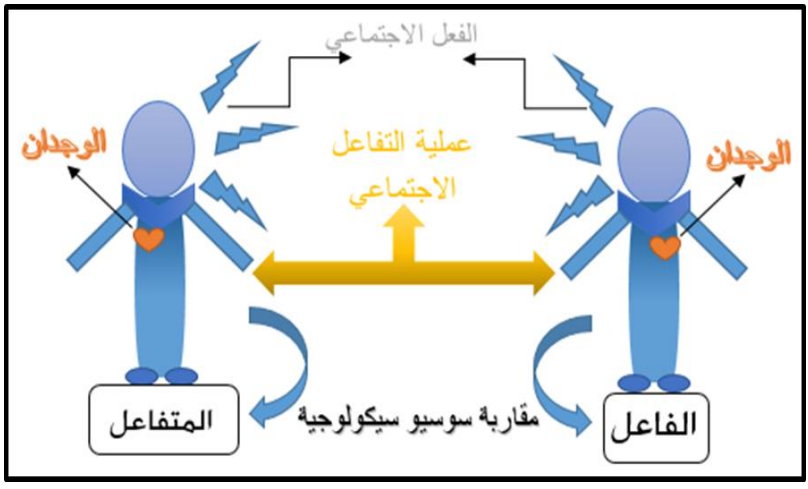

المصدر: من إعداد الباحث.

نلاحظ من خلال المخطط التجسيدي أعلاه تبيان لعملية التفاعل الاجتماعي ضمن سياق مقاربة سوسيو سيكولوجية، حيث تظهر لنا عناصر عملية التفاعل المتمثلة في:

- الفاعل أي المبادر بفعل التفاعل الاجتماعي.
- المتفاعل وهو الذي قام بردة فعل ضمن سياق عملية التفاعل الاجتماعي.
- الفعل الاجتماعي المقام بين كل من الفاعل والمتفاعل.
- مكان عملية التفاعل الاجتماعي الذي يحاكي تموقع عملية التفاعل ضمن أطر المكان ومحددات الزمان ففي خضم هذا المثال يكمن مكان واقعة التفاعل في الحجرة الصفية.

حيث هذه العناصر المبينة أعلاه تتماشى ونظرية التفاعل الاجتماعي وتعتبر أن عملية التفاعل إذا كانت تتوافق ومعايير المجتمع يعني تحقيق الفرد لعملية التكيف؛ بينما إن كانت غير متوافقة مؤداها عدم تكيف الفرد مع المجتمع الذي يحاكي الجماعة التربوية ضمن سياق الحجرة الصفية والمتمثل في التلاميذ؛ لكن عند النظر في التحليل المقدم نجد أن هناك مصطلح مفاهيمي المتمثل في "التكيف" لا يعكس بشكل كبير الطرح السوسيولوجي، فعند تطبيق مبدأ الصياغية نحاول البحث عن بدائل مفاهيمية ذات طرح سوسيولوجي تتماشى مع دلالية المفهوم على سبيل المثال الانسجام الذي يحاكي مضمون التكيف في سياقه الاجتماعي؛ في حين التكيف مفهوم ضمن أطر العلوم الطبيعية.

أما محاولة تفسير وفهم عملية التفاعل من خلال معطى سيكولوجي يتبين لنا العناصر الآتية:

- القائم بالمثير الذي يمثل منطلق التفاعل.
- المستجيب الذي عبر عن استجابته اتجاه المثير.
- الدافع المشكل لكل من المثير والاستجابة، فضمن المثال المقدم يتمثل في الجانب الوجداني لكلا الطرفين.

فمن خلال العناصر أعلاه نجد أن عملية التفاعل تحتكم لجملة الدوافع التي على أساسها تتحدد طبيعة كل من المثير والاستجابة باعتبار أن الوجدان الوعاء الحامل لمختلف المشاعر سواء كانت إيجابية أو سلبية إذا افترضنا أن هذا التفاعل يحاكي منطلق الصداقة بين الطرفين، فإن محك الشعور يستند إلى عواطف المحبة والاحترام والتقدير، وبالتالي عملية التفاعل تتسم بالإيجابية؛ لكن ضمن مبدأ الصياغية نجد أن مفهوم كل من المثير والاستجابة ذات توظيف سيكولوجي وجب إعطاء مفاهيم بديلة تحاكي مدخلا سوسيولوجيا، وعندما يتعذر على الباحث إيجاد بدائل مفاهيمية تحاكي تخصصه الأكاديمي هنا يبقي عليها؛ لكن ضمن مجريات التحليل للظاهرة محل الدراسة يجب أن يتوافق وخصوصية تخصصه الأكاديمي، فعلى سبيل المثال الدارس للقوانين والإجراءات الوقائية المطبقة في مختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية في ظل وباء كوفيد-19 المختص في علم الاجتماعي يعالجها من الناحية الاجتماعية ضمن أطر التقبل الاجتماعي، وجدواها في الوقاية الاجتماعية من هذا الوباء، إضافة إلى فعالية التطبيق الاجتماعي لهذه القوانين والإجراءات؛ بينما المختص في القانون يدرسها من حيث إلزامية التطبيق، وتبيان العقوبات في ظل عدم التطبيق.

5. المقاربة النظرية ومستويات التحليل السوسيولوجي:

ضمن هذا العنصر نحاول تبيان ارتباط المقاربة النظرية بمستويات التحليل السوسيولوجي الثلاث المذكورة أدناه:

1.5. مستويات التحليل السوسيولوجي الكبرى أي الماكرو سوسيولوجي *Macro Sociology* المتعلقة بالدراسات الاجتماعية المرتبطة بالوحدات الكبرى ضمن إطار علم الاجتماع الكلي (غدنز وبيردسال، 2005: ص 756)، حيث يتفرع عنها:

- مستوى تحليل داخلي مرتبط بالنسق نفسه مثل دراسة النسق التربوي بمعزل عن الأنساق المجتمعية الأخرى.
- مستوى تحليل خارجي مرتبط بنسقين فأكثر ضمن إطار المجتمع الكلي على سبيل المثال دراسة النسق التربوي وعلاقته بالنسق الاجتماعي.

ومنه تجدر الإشارة عن أن وحدات التحليل السوسيولوجي الكبرى ظهرت مع بديات علمية علم الاجتماع عن طريق تمظهر النظريات الكبرى من خلال بروز النظرية البنائية الوظيفية والماركسية، حيث ترتبط المقاربة النظرية المتبناة بالنظريات الكبرى المذكورة آنفا قصد تفسير وفهم النظم المجتمعية استنادا لطبيعة الدراسة المعنية.

2.5. مستويات التحليل السوسيولوجي الصغرى أي المايكرو سوسيولوجي *Micro Sociology* المستندة إلى بنية الفعل الإنساني، والمرتبطة بالدراسات الاجتماعية ضمن الوحدات الصغرى التي تضم ممارسات الأفراد المتعلقة بالتفاعلات في خضم الفعل الاجتماعي (غدنز وبيردسال، 2005: ص. 39، 160، 756) كدراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية بين التلاميذ ضمن سياق المؤسسات التربوية، حيث ظهرت مستويات التحليل السوسيولوجي الصغرى مع بوادر أزمة علم الاجتماع

التي أسفرت عن عجز النظريات الكبرى في إعطاء تفسيرات منطقية لبعض الظواهر الجديدة كمحصلة لمجتمع الحداثة، وما بعدها ليتبلور لنا ما يعرف بالنظريات التأويلية من بينها النظرية التفاعلية الرمزية، حيث تعبر عن مقاربة نظرية تحتكم لمؤشرات واقعية ذات منطلق وجودي ملزم للظاهرة المعنية بالدراسة.

3.5. مستويات التحليل السوسيولوجي المتوسطة التي تدمج بين الوحدات الكبرى، والوحدات الصغرى ضمن سياق مستويات التحليل السوسيولوجي قصد عدم الفصل بينهما باعتبار أن النظرية العلمية تعبر عن إطار مفاهيمي منطقي يهدف إلى تفسير مختلف الظواهر بعيدا عن معايير التصنيف والفصل الزمكاني، فمن خلال هذا الطرح المقدم يمكن تبني مقاربات نظرية ضمن الوحدات الكبرى لمعالجة ظواهر ترتبط بالوحدات الصغرى أو العكس على سبيل المثال تبني النظرية الماركسية في فهم الصراعات التنظيمية داخل المؤسسات التربوية.

نلاحظ من خلال مستويات التحليل السوسيولوجي أن كل مستوى يحاكي فترة مرحلية ترتبط بعلم الاجتماع وما ينطوي عنه من فروع، حيث كل مستوى تحليلي يشمل جملة من النظريات العلمية التي تجسد منطلق التفسير للظواهر والقضايا السوسيو تربوية ضمن أطر المقاربة النظرية المتبناة، ففي ظل عملية الفصل بين مستويات التحليل السوسيولوجي يجعل النظرية العلمية ذات مجال تضيقي من حيث الوظيفة البحثية، إضافة إلى إحداث قطيعة بين مختلف النظريات العلمية التي تحيلنا إلى إلغاء إحدى خصائص العلم المتمثلة في التراكمية والتكاملية، ومنه ويستلزم إعادة النظر في عملية الفصل بين مستويات التحليل السوسيولوجي ومحاولة تبيان التكامل فيما بينها.

6. المقاربة النظرية ومساقية ضبط الموضوع بين الدلالة والارتباط المنهجي:

بداية تعتبر العلوم الاجتماعية وتربوية وعاء زاخر بكم هائل من الظواهر، والقضايا التي وجب الاهتمام بها؛ لأنها مرتبطة بالوجود الإنساني ومستجدات حياته اليومية، فضمن السياق الأكاديمي يستنطق الباحث مكان تواجده الاجتماعي والتربوي في الكشف عن ظاهرة ما، واختيار موضوع معين لدراسته، فلابد لهذا الموضوع أن يشترط فيه الإيجاد، والقابلية للدراسة مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات الباحث العقلية، والمعرفية والمنهجية، إضافة إلى مختلف الإمكانات المادية مع مراعاة الدلالة الزمنية المطلوبة في إنجاز الموضوع المستحق للدراسة بحيث تكون بداية الباحث من سؤال الانطلاقة الذي يعبر عن (تعريفه) تمشكل حير الباحث، وأثار دافعية البحث فيه، وهذا التمشكل نابع من الملاحظة للواقع الاجتماعي أو من خلال القراءة البحثية للتأصيل النظري المعرفي العلمي، وهذا ما يوضحه التمثيل البياني أدناه:

الشكل (03): مخطط *Smart Art* من نوع معادلة عمودية يوضح مصادر سؤال الانطلاقة.

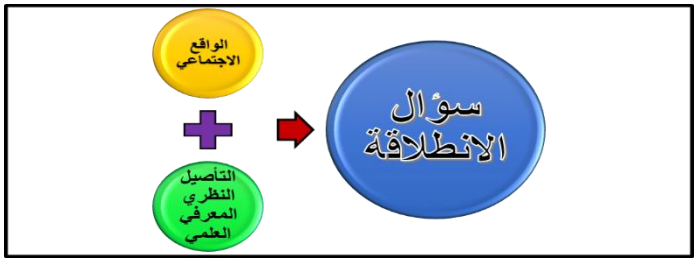

المصدر: من إعداد الباحث.

فبعد تشكل سؤال الانطلاقة في مخيال الباحث ضمن مساقية التفكير لديه يحاول تحديده من خلال متغيرات ذات دلالة منطقية قابلة للدراسة لها وجود عياني في الواقع الاجتماعي، والتي على أساسها يحدد

موضوع محل الدراسة، ثم يقوم الباحث بعملية الضبط المرتبطة بالموضوع من خلال الخطوتين أدناه:

1.6. التحديد المفهومي للمتغيرات المراد دراستها، وهنا نقصد ضبط المفاهيم المشكلة للدراسة ضبطا منهجيا، ومعرفيا دقيقا بحسب أهداف الباحث، ومقصدة البحثي في ذلك، حيث في هذه الخطوة لا نقصد بها تحديد المفاهيم ضمن مراحل خطوات البحث العلمي بل الضبط المفهومي للمتغيرات المشكلة للموضوع المراد دراسته ضبطا دقيقا تجنبا للتأويلات المفاهيمية، وللتوضيح أكثر نعرض المثال المرتبطب البرامج التربوية كسياق بحثي، إلا أن الباحث في خضم هذا المفهوم يريد دراسة المناهج التربوية ومنه، فإن مفهومية البرامج التربوية تحمل في طياتها دلالات عدة منها المنهاج التربوي والكتاب المدرسي، والتوزيع السنوي للمواد المدرسة، إضافة إلى مختلف الأنشطة التربوية، والثقافية المنظمة من طرف المدرسة، وهنا وجب على الباحث تبني مفهوم المناهج التربوية بدلا من البرامج التربوية، وللتدقيق أكثر نطرح السؤال الآتي:

- هل يبحث الباحث في دراسة المناهج التربوية بشقيها الظاهر، والخفي أو إحداهما؟

فإذا كان الباحث مقصده من الدراسة المنهاج بشقيه الظاهر والخفي يبقي عليها، وفي هذه النقطة يشترط دراسة كل المناهج للمواد المدرسة مع تحديد مستوى تعليمي معين.

أما في حالة دراسة منهاج مادة ما لمستوى تعليمي لزاما عليه تحديد ذلك، وفي حالة دراسة أحد شقي المنهاج التربوي " الظاهر أو الخفي" وجب تبيانه في مسألة الضبط المفهومي للدراسة.

2.6. التحديد الدلالي الارتباطي المنهجي لمتغيرات الدراسة، حيث يعمل الباحث بعد الضبط المفهومي لمتغيرات الدراسة على تحديد دلالة الارتباط المنهجي، والمتمثلة في: "أثر ـ دور ـ مساهمة ـ واقع ـ علاقة ـ الواو..."

حيث تمثل الدلالات أعلاه مقصدا منهجيا وإحصائيا على أساسها يتحدد المنهج المتبع والأدوات المستخدمة، والأساليب الإحصائية المطبقة التي وجب في اختيار واحدة منها مراعاة ما يلي:

- طبيعة المتغيرات المضبوطة من حيث الطبيعة، والقياس الكمي والكيفي
- أهداف الباحث من دراسته للموضوع المقدم من خلال ماذا يريد بالضبط، والغاية التي يصبوا إليها.
- اتجاه الفرضيات "خطي ـ تشعبي".
- قابلية الواقع الاجتماعي من حيث الوجود، والتسهيل ضمن سياق التطبيق الميداني.
- قدرات الباحث المعرفية والمنهجية، والإمكانات المتاحة.

كما تجدر الإشارة إلى أن الدلالات الارتباطية بمثابة بوصلة معرفية منهجية تضبط مسار الباحث في تناوله لدراسته البحثية من حيث الجوانب المنهجية المعرفية، والأدوات البحثية والأساليب الإحصائية، فالاستخدام الدلالي للأثر يختلف عن العلاقة، وكذا بالنسبة للدور في تحديد الجوانب المذكورة آنفا من حيث المنهج المتبع، والأدوات المستخدمة، والأساليب المطبقة على سبيل المثال موضوع التحصيل الدراسي، فضمن سياقات دلالة الارتباط المنهجي يتم توضيحها كالتالي:

- واقع التحصيل الدراسي في المدرسة الجزائرية، حيث يقوم الباحث بدراسة وصفية لواقع التحصيل في المدرسة الجزائرية من خلال اتباع المنهج الوصفي، ويمكن دراسته من الناحية الكمية والكيفية، فالأولى من خلال تحليل كمي باستخدام الأساليب الإحصائية البسيطة كالتكرارات والنسب ...حيث يتم قياس التحصيل الدراسي كميا من خلال النتائج المحصلة للتلاميذ.

أما الثانية من خلال تحليل كيفي ضمن أطر واقع المدرسة الجزائرية من خلال الملاحظة، ومقابلة القائمين عليها.

- المراجعة المنزلية للأبناء وعلاقتها بالتحصيل الدراسي أي يمكن للباحث دراسة الموضوع من خلال اتباع المنهج الوصفي باستخدام أداة المقابلة أو الاستبانة، حيث يتم تطبيق معادلة الارتباط لبيرسون...
- أثر استخدام تكنولوجيا التعليم في التحصيل الدراسي من خلال اتباع المنهج الشبه تجريبي كسياق مفاهيمي في العلوم الاجتماعية، حيث يتم جمع المعطيات باستخدام الاستبانة والاختبارات والمقاييس وشبكة الملاحظة، ويمكن معالجتها إحصائيا من خلال اختبار ت ـ *T test*.
- دور رياض الأطفال في التحصيل الدراسي عن طريق اتباع المنهج الوصفي باستخدام أداة الاستبانة أو المقابلة... من خلال تطبيق معادلة كا^2 للتوافق في حالة اتجاه الفرضية في الشق الإيجابي وتطبيق معادلة كا^2 للاستقلالية في حالة اتجاه الفرضية في الشق السلبي...

وتجدر الإشارة أن تموضع دلالة الارتباط المنهجي " علاقة ـ أثر ـ الواو ..." كتابيا في سياق الموضوع المراد دراسته يبين ويحدد اتجاه الارتباط بين المتغيرات على سبيل المثال:

الحالة (1): علاقة كفاءة الأستاذ بالتنويع في طرق التدريس، حيث يتبين لنا أن العلاقة الارتباطية بين المتغير المستقل " كفاءة الأستاذ " والمتغير التابع "التنويع في طرق التدريس" في اتجاه خطي أحادي، وهذا ما يوضحه التمثيل البياني الآتي:

الشكل (04): مخطط *Smart Art* من نوع معالجة بكتل متصلة يوضح خطية المتغيرات.

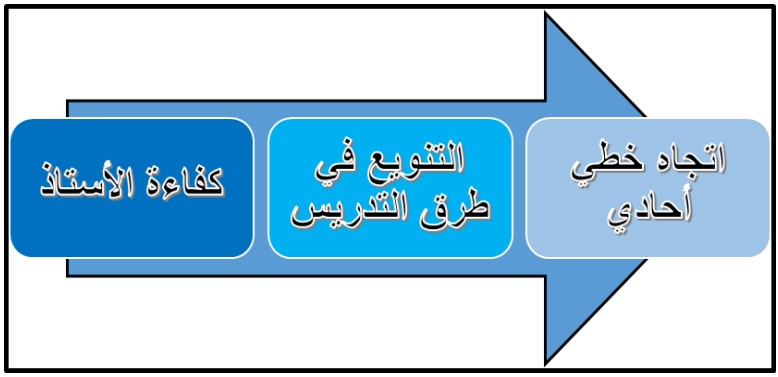

المصدر: من إعداد الباحث.

الحالة (2): كفاءة الأستاذ وعلاقتها بالتنويع في طرق التدريس أي العلاقة الارتباطية في اتجاه ثنائي وهذا ما يوضحه التمثيل البياني أدناه:

الشكل (05): مخطط *Smart Art* من نوع أسهم متقاربة يوضح الاتجاه الثنائي المتقابل للمتغيرات.

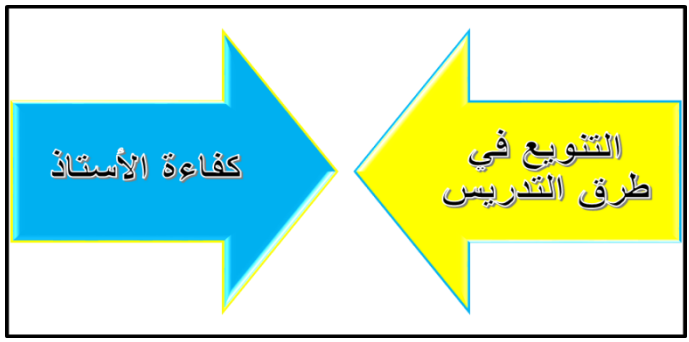

المصدر: من إعداد الباحث.

فمن خلال التمثيل البياني أعلاه الموضح للعلاقة الارتباطية ذات الاتجاه الثنائي والمتبادل بين المتغيرين، تجدر الإشارة أنه يمكن أن تأخذ الاتجاه التشعبي من خلال المتغيرات الوسيطة، على سبيل المثال توفر الوسائل التعليمية والبيئة الفيزيقية لمكان التدريس، فقد يكون الأستاذ ذا كفاءة عالية ومتحكم في طرق التدريس المتنوعة إلا أن عدم توفر الوسائل التعليمية ومكان التدريس غير ملائم، ويعيق الأستاذ في تنويعه لطرق التدريس وإبراز مهاراته.

فضمن سياق المقاربة النظرية بالنظر للمفاهيم المحدد للموضوع تعطي للباحث فكرة مبدئية تحليله إلى مجمل النظريات العلمية التي يمكن أن تخدم موضوعه وتعينه على معالجته ومنه تتحد المقاربة النظرية المناسبة المختارة من طرف الباحث، فدلالة الارتباط المنهجي ليست مرهونة بتحديد المنهج المتبع والأساليب الإحصائية المطبقة فقط؛ بل تتعدى تحديد المقاربة النظرية الواجب تبنيها في دراسة الظاهرة المعنية.

واستنادا لما تم عرضه ضمن سياق ضبط الموضوع يتبين لنا المقاربة النظرية التي يمكن تبنيها وتوظيفها في المعالجة البحثية خصوصا بعد

الضبط المفهومي للمتغيرات المشكلة لموضوع الدراسة وتحديد الارتباط المنهجي بين تلك المتغيرات.

7. تطبيق المقاربة النظرية ضمن العناصر البحثية:

بالرغم من وجود عنصر بحثي خاص بالمقاربة النظرية المتبناة يحاكي آليات وكيفية معالجة متغيرات الموضوع المعني بالدراسة خاصة في البحوث الأكاديمية ضمن سياق العلوم الاجتماعية والتربوية إلا أنه وجب تبيان المقاربة النظرية في مجمل العناصر البحثية ومنه:

1.7. على مستوى مقدمة البحث وبناء الإشكالية من خلال عملية البناء المفاهيمي والسياق الترابطي لكل من مقدمة الدراسة وإشكاليتها بمعنى وضوح مفاهيم المقاربة النظرية على سبيل المثال إذا اعتبرنا المقاربة النظرية المتبناة هي البنائية الوظيفية، ففي خضم الطرح التقديمي والإشكلاتي وجب الإشارة إلى "التوازن - الوحدة - البناء - الوظيفة - الاستقرار - النسق" حيث كل هذه المفاهيم تعبر عن منطلقات النظرية البناية الوظيفية مع إمكانية التدليل بأقوال أحد روادها إن لزم الأمر ذلك بما يتوافق والسياق البحثي محل الدراسة.

2.7. على مستوى الفرضيات، بعد خطوة الضبط وتحديد اتجاه الفرضية يتم على أساسها معرفة اتجاه وطبيعة المقاربة النظرية الواجب تبنيها على سبيل المثال:

- مقاربة محافظة مثل النظرية البنائية الوظيفية.
- مقاربة راديكالية مثل النظرية الصراعية.
- مقاربة تأويلية مثل النظرية التفاعلية الرمزية.

حيث يتم توظيف المقاربة المتبناة في خضم عملية الصياغة وآليات الربط بين المتغيرات والأبعاد عن طريق توظيف مفاهيم المقاربة النظرية في بلورة فرضيات الدراسة.

3.7. على مستوى تحديد المفاهيم ضمن سياق عمليتي التركيب والتحليل المفهومي، حيث يتم توظيف المقاربة النظرية المتبناة في خضم عملية التركيب المفهومي من خلال استخدام مفاهيم المقاربة في أطر التعبير الكتابي المنوطة بصياغة مفاهيم الدراسة؛ بينما ضمن عملية التحليل المفهومي تجدر الإشارة في تحديدنا لمفاهيم الدراسة ننطلق من:

- **التحديد اللغوي** الذي يحيلنا إلى معرفة أصل الكلمة وجذورها مع تبيان الترادف والتضاد.
- **التحديد الاصطلاحي** الذي يحاكي الاتفاق النسبي بين الباحثين، والكشف عن وجهات النظر لديهم من خلال أطر الاختصاص الأكاديمي، حيث يمكننا من معرفة خواص الكلمة أو الشيء المنوط بها.
- **التحديد الإجرائي** الذي يرتبط بمجال الدراسة ضمن منطلق نظري، وتطبيقي يستند إلى مؤشرات دلالية تعكس بنية وتركيبية المفهوم في الواقع محل الدراسة.

4.7. على مستوى تحليل النتائج من خلال تبيان مختلف دلالات الارتباط المستخلصة في إطار النتائج المحصلة في خضم فحوى المقاربة النظرية المتبناة قصد تحليل وتفسير الارتباطات المتوصل إليها ضمن السياق البحثي محل الدراسة، فالمقاربة النظرية بمثابة الدرع الذي يحوزه الباحث من أجل حماية نتائجه المسفر عنها في دراسته، وتقوية حجته الدامغة لأن

النتائج العلمية تستند إلى أطر منهجية صحيحة؛ كما أنها تحتكم إلى البرهان والتدليل.

خاتمة:

ختاما نجد أن المقاربة النظرية ذات أهمية بالغة في العلوم الاجتماعية والتربوية، حيث يُستند في اختيارها وآليات توظيفها لطبيعة وأهداف الموضوع محل الدراسة، إضافة إلى جملة التساؤلات المطروحة والفرضيات المصاغة؛ كما يمكن للباحث تبني أكثر من مقاربة حسب مقتضى الحاجة العلمية المنوطة بالأهداف البحثية المرجو تحقيقها، وفي حالة عدم وجود نظرية علمية تعين الباحث في فهم مختلف الارتباطات الدلالية، وما يتعلق بها من مؤشرات واقعية تحاكي وجودية الظاهرة محل الدراسة، وتمظهرها في واقع الممارسة السوسيو تربوية خصوصا ضمن البحوث الاستكشافية الجديدة في خضم الطرح العلمي التي ليس لها خلفية تنظيرية سابقة؛ يستلزم من الباحث بناء تصور نظري جديد يمكنه من فهم فحوى الظاهرة ومعالجتها؛ كما تجدر الإشارة إلى أن المقاربة النظرية يتم توظيفها في مجمل العناصر البحثية انطلاقا من مقدمة الدراسة إلى النتائج المتوصل إليها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- التير، مصطفى عمر وآخرون (2020)، **أولويات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية في العالم العربي**، قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى.

2- بوخريسه، بوبكر (2017)، **سوسيولوجيا بيير يورديو "تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج،"** بن عكنون - الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

3- يونس علي، محمد محمد وآخرون (2021)، **أسئلة المنهج**، قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

4- قاسيمي، ناصر (2017)، **التحليل السوسيولوجي "نماذج تطبيقية"**، بن عكنون - الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

5- تيغزة، أمحمد وآخرون (2020)، **الأصول والأسس المنهجية في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية "مستجدات وتقنيات حديثة"**، المسيلة - الجزائر: مركز اليقظة البيداغوجية - جامعة محمد بوضياف، نواصري للطباعة والنشر.

6- غدنز، أنتوني وبيردسال، كارين (2005)، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ، عمان - الأردن، بيروت -لبنان: المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة.

7- بولعراس، نور الدين (سبتمبر 2018)، المقاربة السوسيولوجية في البحث الاجتماعي "محاولة ميتودولوجية امبيريقية من أجل تجاوز إشكالية الاختيار، العرض والتوظيف،" **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 35.

8- Bhattacherjee, Anol (2012), ***Social Science Research "Principles, Methods, and Practices***», USA: USF - the Creative Commons Attribution-Non-Commercial-Share Alike 3.0 Unported License, 2nd edition.

9- Burrell, Gibson and Morgan, Gareth (2019), ***Sociological Paradigms and Organisational Analysis "Elements of the Sociology of Corporate Life***, London and New York – USA:" Routledge - the Taylor & Francis Group, 3nd edition.

10- Brennero, Philip. S (2020), ***Understanding Survey Methodology "Sociological Theory and Applications***," Switzerland: Springer Nature.

11- Sheppard, Valerie (2020***), Research Methods for the Social Sciences "An Introduction",*** USA: the Saylor Academy - Creative Commons Attribution-Non-Commercial Share Alike 3.0License.